

## الاستراتيجيات الإيرانية لكسر المجتمعات العربية

رضوان السيد

قبل ثلاثة أيام هجم سالم زهران على دولة الكويت وأميرها. وزهران من "عرب المسلخ". ويعمل لدى محور المقاومة والممانعة، وهو مثل جميل السيد ووثام وهّاب مشهورٌ بالتفلسف في الخطاب، ولا يتعرض له الأمنيون أو القضاة خوفاً من حُماته. وكان زهران قد قال قبل أسابيع إن سعد الحريري سيذهب إلى سورية " ورجله فوق رقبتة" أو ما شابه، وعندما خرج فتیانٌ إلى شوارع بيروت هاتفين ضده عاد فاعتذر. أما دولة الكويت فلم يعتذر منها حتى الآن رغم إدانة الجميع لتصريحاته مثل رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب والآخرين من البيئة السياسية أو بيئة الأعمال. أما سبب الهجوم بحسب زهران فهو زيارة حاكم الكويت لأميركا واجتماعه بالرئيس ترامب، مما يدل على التأمر على المقاومة العظيمة وإيران!

لا قيمة لزهران سياسية أو اجتماعية. وتفكيره بالكويت واعتباره أنها خاضعة لأميركا ليس ذاتياً، بل هو من وحي الذين يوجهونه منذ أيام السوريين بلبنان. وقد انحشروا الآن رغم اعتزازهم بالانتصارات الفظيعة، ولذلك فقد ظهرت معالم خطتهم للسير في مزيد من كسر المجتمعات العربية وتخريبها ولا فرق في ذلك بين الشيعة والسنة فيها.

في العراق، يرى مراقبون غربيون أنّ اضطرابات البصرة لها أسبابٌ حقيقية. لكنّ التخريب الذي انغمست فيه قلةٌ مشبوهة أصله إيراني لتبرير التدخل بالقوة وإخضاع البصرة من جديد لسيطرة الحشد الشعبي. فبعد إحراق مقر الحشد بالبصرة، وإحراق القنصلية الإيرانية، أعلن العامري زعيم الحشد عن تشكيل عشرة ألوية تحت عنوان: ألوية التعبئة؛ من أجل حماية الأمن هناك، بينما كان الشبان الثائرون مشكلتهم سيطرة حشود الحشد وميليشياته على المدينة، وتجويع الناس، فحاميتها حراميتها!

ما معنى هذا؟ معناه أنّ المجتمعات في سورية والعراق ولبنان واليمن، صارت فيها فئاتٌ من المرتزقة الفقراء والمهمشين، والذين يمكن جمعهم وتوجيههم للتخريب والقتل مقابل لقمة العيش. ظهر ذلك في العراق بعد الاحتلال الأميركي عندما دخل " المعارضون" الآتون من إيران بسلاحهم، وجمعوا من حولهم كل مهمشي المدن والأرياف وانشعبوا في ميليشيات باسماء وعناوين آل البيت. وتحت وطأة الأميركيين والتوجيه الإيراني، تحولت مقاومة الغزو إلى نزاع

طائفي مدبر تسبب في قتل مئات الآلاف، وتهجير الملايين. فلما اشتد الاحتجاج على المالكي بعد العام 2011 وظهر داعش، أصدر السيستاني فتوى الجهاد الكفائي، فعدت ظاهرة "الحشد الشعبي" إلى النفاق، وصار يأتي بعد إخراج الأميركيين والجيش للدواعش- للاستقرار في المدن والبلدات ونهبها واستعبادها، باعتبار أن كل الناس في الأنبار وصلاح الدين وديالى ونيوى كلهم دواعش وإن تخفوا!

وقبل ثلاث سنوات كنت أناقش مع إياد علاوي رئيس وزراء العراق الأسبق ظاهرة هجرة الزعامات السنية من العراق إلى عمان وإلى تركيا. وقال علاوي إن هذه الظاهرة كارثية، وضغوط المالكي هي العلة الأبرز مع الغياب العربي. لكن هناك - كما قال لي - ظاهرة أخطر هي ظهور "سياسيين" في المناطق السنية تعاونوا مع المالكي أو عادوا من الأردن وتركيا، وهم يتعاملون إلى جانب بعض شيوخ العشائر مع الميليشيات الشيعية المسيطرة في مناطقهم، والتي لا يقل هولها عن هول داعش. وعشية الانتخابات الأخيرة وقبلها وبعدها سمعنا عن مقتل ثلاثة من شيوخ العشائر على أيدي ميليشيات الحشد. ثم قيل إن البعض يتفاوض مع الحشديين على الانحياز لهم سياسياً في مقابل الانسحاب من مناطقهم. وقد ظهر ذلك بالفعل في انتخاب الشاب محمد الحلبوسي من الأنبار رئيساً لمجلس النواب العراقي. والحلبوسي عنده لائحة اسمها: الأنبار هويتنا، ثم تبين أن هويته كانت وما تزال هي هادي العامري والعياذ بالله. فبعد الحروب والغزوات الهائلة من الأميركيين ومن الميليشيات الطائفية، ومن الدواعش، ومن قوات الجيش والشرطة وهي أشبه بالميليشيا أيضاً. بعد كل ذلك تحطم المجتمع وصار يريد الستر والقدرة على العودة إلى منازلهم ولو وقعوا في الذل والإذلال وفقد الحرية والكرامة.

وعندنا في لبنان شكّل حزب الله ميليشيا سنية تابعة له من معلمي المدن والبلدات وحرافيشها. وقد استخدمها في طرابلس كما استخدم قلة من العلويين، لشرذمة المدينة واحتلالها كما احتل بيروت عام 2008. لكنه لم ينجح رغم ذلك كله لعدم القدرة على تكوين ميليشيا سنية كبيرة في مناطق الشمال اللبناني، وهي مناطق سوادها الأعظم من السنة. إنما ما لم ينجح فيه في طرابلس نجح فيه في صيدا وجوارها عندما ظهر الشيخ أحمد الأسير. فبحة تكديس الأسير للسلاح في المسجد الذي كان إمامه، جرى اشتباك غامض قُتل فيه عشرات من الجيش وجماعة الأسير. وخلال ساعات استولت ميليشيا "سرايا المقاومة" بمساعدة مخبرات الجيش على المدينة، فصار الوضع في صيدا كما هو في بيروت. وقد كانت لذلك نتائج سياسية في الانتخابات الأخيرة. فبسبب قانون الانتخاب الفظيع، وطرائق تركيب الدوائر، وإدارة الانتخابات، خسر تيار المستقبل أكثر نوابه غير السنة، كما خسر عشرة من نواب السنة، ستة منهم من أنصار الحزب. وهكذا وبسبب سوء التقدير والتفويت ظهرت بمجلس النواب أكثرية موالية لهذا الطرف أو ذاك، وفقدت

رئاسة الجمهورية حياديتها. ويعجز رئيس الحكومة المكلف عن تشكيل حكومته حتى الآن. ويبدو الحزب مسيطراً على النظام السياسي، بوهج سلاحه بالطبع. لأنه منذ سيطر على المؤسسات الدستورية وعلى مناصب حساسة في الجيش والقوى الأمنية، ما عاد بحاجة إلى استخدام سلاحه مباشرةً كما فعل في عدة مناسبات.

إنّ أول تصريح أدلى به رئيس مجلس النواب الجديد بالعراق تأييده لإيران في وجه العقوبات الأميركية، ودعوته للاريجاني لزيارة العراق. وهذا كله وما يزال الأميركيون عسكرياً ومدنيين ضرورةً للعراق المنهك والمتشردم. والأمر نفسه صرّح به نبيه بري رئيس البرلمان اللبناني: دعم إيران في وجه العقوبات، واعتبار لبنان توأماً لسورية الأسد!

إنّ الاستراتيجية الإيرانية لمواجهة العقوبات الأميركية، تعتمد على سلسلة من الميليشيات الضخمة المنتشرة في العراق وسورية ولبنان، لإرهاب المجتمعات المحلية، وإخضاع العزّل للإرادة الإيرانية، وتعطيل المرافق إن ظلت المقاومة قوية. لكنّ ليس هذا فقط، فهناك فئات من سكان البلدان الثلاث، وبسبب التعب الذي نال منهم، صاروا مستعدين للتعاون مع الغزاة في مقابل إبقائهم في مساكنهم، وإعطاء بعض الضعفاء مناصب شكلية، أسماؤها لها وقع رنان.

ويهدّد الحشد الشعبي، وتهدد الميليشيات المتأيرنة الكويت بهزّ الاستقرار الداخلي إن بقيت إلى جانب أشقائها العرب. أما حسن نصر الله فيحدّر على مشارف المحكمة الدولية الخاصة من اللعب بالنار، إذا صدر الحكم ضد القتلة من الحزب. فيجيبهم الحريري من ذات المنطق أن الاستقرار مقدم على كل شيء. بينما نعلم جميعاً أن العدالة هي أصل الاستقرار وليس العكس.

في سورية خراب كامل يقف على أنقاضه الإيرانيون وغيرهم. وفي العراق ولبنان، تظهر إلى جانب الميليشيات فئات خاضعة وموالية للحزب وإيران. واللافت أن الأميركيين هم الذين يحثون العرب وبينهم الخليجيون على التضامن لمواجهة الهجمة. فإما الإصغاء إلى النذير أو السير الحثيث على خطى الأسد والمالكي ونصر الله والحوثي. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[radwansayed@gmail.com](mailto:radwansayed@gmail.com)

[www.ridwanalsayyid.com](http://www.ridwanalsayyid.com)

جريدة الشرق الاوسط في صفحة الرأي يوم الجمعة في 2018/9/21